عوامل استقرار الأسرة

سبق الحديث في الجمعة الماضية ن الأسرة التي ينشدها الإسلام، و تبين أن للأسرة مكانة عظيمة في الإسلام فتكوينها دين، والحفاظ عليها إيمان، ومكافحة ما يهدد كيانها جزء من شريعة الإسلام.، وكلما كانت الأسرة مستقرة عاد ذلك بالاستقرار على أفراها ومن ثم المجتمع ككل. ثم تحدثنا عن صفات الأسرة المسلمة وكان أبرز ذلك الربانية، ثم استشعار المسؤلية وكذا تنمية المواهب لدى أفرادها، وكان الختام عن ذكر بعض التحديات المعاصرة التي تواجه الأسرة وهي غياب التواصل بين الوالدين وأولادهم وما أفرزته وسائل التواصل الإجتماعي من أسر للقلوب والعقول، ثم ظاهرة العنف الأسري، ونكمل الحديث عن الأسرة بذكر عوامل وأسباب استقرارها وذلك كما يلي:

أولاً : حسن اختيار الزوجين :فلكي تقوم الأسرة على أساسٍ متين، دعا الإسلام إلى حسن اختيار الزوجين، وجعل معيار ذلك مجملا من " توجيهات رسول الله ﷺ لشباب أُمَّته «فتيانًا وفتيات» بأنْ يكون المقياس في اختيار الزوجة هو مقياس «الدِّين»، والأخلاق.

مع التأكيد على دور الولي في اختيار الأصلح والأنسب، قال ﷺ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ» [متفق عليه]، وقال ﷺ: «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ» [رواه الترمذي]. قال الإمام النووي: "الصحيح في معنى هذا الحديث أن النبي ﷺ أخبر بما يفعله الناس في العادة؛ فإنهم يقصدون هذه الخصال الأربع، وآخرها عندهم "ذات الدين"؛ فاظفر أنت أيها المسترشد بذات الدين لأنه أمر بذلك، وفي هذا الحديث الحث على مصاحبة أهل الدين في كل شيء؛ لأن صاحبهم يستفيد من أخلاقهم وبركتهم وحسن طرائقهم ويأمن المفسدة من جهتهم" مع الأخذ في الاعتبار بأن الكفاءة في الزواج معتبرة عند الفقهاء، من الناحية المادية والعلمية والاجتماعية؛ لأن هذا أبقى لاستمرار الحياة الأسرية.

قال الموصلي الحنفي: "والكفاءة تعتبر في النكاح في النسب، وفي الدين والتقوى، وفي الصنائع، وفي الحرية، وفي المال. فالتقارب بين الشريكين من أهم معايير الاختيار الصحيح مثل التقارب الفكري والثقافي والبيئي فعندما يتقارب الزوجان في طريقة التفكير والقيم والمبادئ والعادات الاجتماعية، يصبح التفاهم بينهما أكثر سهولة، وتقلّ الخلافات الناتجة عن اختلاف وجهات النظر أو أنماط الحياة.

ثانياً: العشرة بالمعروف:وذلك من قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ [النساء: ١٩]: أي: وصاحبوهن وعاملوهن بالمعروف، أي: بما حض عليه الشرع وارتضاه العقل من الأفعال الحميدة، والأقوال الحسنة

وقال الحافظ ابن كثير: "وقوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ أي: طيّبوا أقوالكم لهن، وحسّنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها؛ فافعل أنت بها مثله، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٢٨] وقال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُم لأَهْلِي»، وكان من أخلاقه ﷺ: أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلا قبل أن ينام، يؤانسهم بذلك ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾" [الأحزاب: ٢١] وهذه بعض الأمثلة في عشرته عليه السلام :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: "قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْبَرَ؛ فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحِصْنَ... خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ، قَالَ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَوِّي- وضع كساء حول سنام البعير ليُركب عليه- لَهَا وَرَاءَهُ بِعَبَاءَةٍ، ثُمَّ يَجْلِس عِنْدَ بَعِيرِهِ فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ؛ فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ" [رواه البخاري].

وعَنْ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ التَّمِيمِيّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا سَقَى امْرَأَتَهُ الْمَاءَ أُجِرَ» قَالَ: فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَسَقَيْتُهَا مِنَ الْمَاءِ، وَأَخْبَرْتُهَا بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"

وعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا سُئِلَتْ كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَلَا فِي بَيْتِهِ؛ فقَالَتْ: "كَانَ أَلْيَنَ النَّاسِ وَأَكْرَمَ النَّاسِ، كَانَ رَجُلًا مِنْ رِجَالِكُمْ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ ضَحَّاكًا بَسَّامًا" و عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ حُبُّكَ لِي؟ قَالَ: «كَعُقْدَةِ الْحَبْلِ» فكنت أقولُ: كَيْفَ الْعُقْدَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فيقول: «عَلَى حَالِهَا.«

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَتْ صَفِيَّةُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَهَا فَأَبْطَأْتُ فِي الْمَسِيرِ؛ فاسْتَقْبَلَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهِيَ تَبْكِي وَتَقُولُ: "حَمَلْتَنِي عَلَى بَعِيرٍ بَطِيءٍ؛ فجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمْسَحُ بِيَدَيْهِ عَيْنَيْهَا وَيُسْكِتُهَا" وعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ قَالَتْ: فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلَيَّ؛ فلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي فَقَالَ: «هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ»

ثالثاً: الدعاء: بصلاح الزوج والولد وهو هدي النبياء والمرسلين ودأب الصالحين فدعاء عباد الرحمن " وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ، وَاجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً." أى: يقولون في دعائهم وتضرعهم يا رَبَّنا هَبْ لَنا بفضلك وجودك مِنْ أَزْواجِنا وَذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ أى: ما يجعل عيوننا تسر بهم، ونفوسنا تنشرح برؤيتهم، وقلوبنا تسكن وتطمئن وجودهم، لأنهم أتقياء صالحون مهتدون

ودعاء النبي زكريا :" هُنالِكَ دَعا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ (38)

رابعاً: الإنصاف في النظرة الكلية لشريك الحياة مع التغافل عن الزلات: وكما جاء في الحديث لا يَفرَكْ مُؤمِنٌ مُؤمِنةً، إن كَرِهَ منها خُلُقًا رَضيَ منها آخَرَ، أو قال: غيرَه. والفَرْكُ: البُغْضُ والكُرْهُ، والمُرادُ بالمؤمِنِ والمؤمِنةِ هنا الزَّوجُ والزَّوجةُ، قيلَ: هذا نَفيٌ في مَعنى النَّهيِ، أي: لا يَحصُلُ البُغضُ التامُّ لها.وهذا من جميل العشرة بين الأزواج فليس هناك أحد كاملا لا يخطئ، فإذا رأى أحد الزوجين الآخر على شيئ لا يرضيه فعليه بهذا قَالَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ"الْعَافِيَةُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ كُلُّهَا فِي التَّغَافُلِ" [رواه البيهقي].

خامساً: حماية الأبناء من الانحرافات: فالمتابعة الحكيمة، والحوار البنّاء، وإشباع الحاجات النفسية والعاطفية، كلها عوامل تقلل من تأثر الأبناء برفقاء السوء أو الدعوات المنحرفة، قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» [رواه مسلم].

أخيراً: نموذج للأسرة المستقرة: إن تكوين الأسرة في زماننا هذه ليس أمرا سهلا ومع ذلك فالأصعب منه هو استمرار هذه الأسرة بعد الزواج وتحملها المشاق والتحديات إلى أن يلتقي الزوجان في الجنة مع أولادهم، ولئن كنا نعيش في أول العام الهجري 1448هـ فإن حادث الهجرة بين لنا نماذج من الأسر التي تماسكت وحافظت على أفرادها من مثل: أسرة أبو سلمة " كان أبو سَلمةَ عبدُ الله بنُ عبدِ الأسدِ أوَّلَ مَن هاجر إلى المدينةِ مِن أصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مِنَ المُهاجرين مِن قُريشٍ مِن بني مَخزومٍ، وكانتْ هِجرتُه إليها بعدَ بَيعةِ العَقبةِ الأولى، وقبلَ بَيعةِ العَقبةِ الثَّانيةِ، حين آذتْهُ قُريشٌ بعدَ مَرجعِهِ مِنَ الحَبشةِ، فعزم على الرُّجوعِ إليها، ثمَّ بَلغهُ أنَّ بالمدينةِ لهم إخوانًا، فعزم في الهِجرةِ إليها .قالتْ أمُّ سَلمةَ: لمَّا أجمع أبو سَلمةَ الخُروجُ إلى المدينةِ رَحَّلَ لي بَعيرَهُ ثمَّ حملَني عليه، وجعل معي ابْنِي سَلمةَ بنَ أبي سَلمةَ في حِجْري، ثمَّ خرج يقود بي بَعيرَهُ، وانطلق به بنو عبدِ الأسدِ، وحبسني بنو المُغيرةِ عندهم وانطلق زوجي أبو سَلمةَ إلى المدينةِ. قالتْ: ففُرِّق بيني وبين ابْنِي وبين زوجي. قالت: فكنتُ أخرُج كُلَّ غَداةٍ فأجلِسُ في الأَبْطَحِ، فما أزالُ أبكي حتَّى أُمْسي، سَنَةً أو قريبًا منها، حتَّى مَرَّ بي رجلٌ مِن بني عَمِّي أحدُ بني المُغيرةِ، فرأى ما بي فرحِمَني، فقال لِبَني المُغيرةِ: ألا تحرجون من هذه المِسكينةِ؟ فرَّقتُم بينها وبين زوجِها وبين ولدِها؟ قالت: فقالوا لي: الْحَقي بزوجِك إن شئتِ.

فتأمل: استجابة الوالد لأمر الله بالهجرة وتقديم الأمر الإلهي على العواطف، وصبر الأم على فراق الزوج والولد، وتأمل في تماسك الأسرة كلها وتعونها على مواجهة تحديات عصرهم.

نسأل الله تعالى أن يحفظ علينا أزواجنا وأولادنا، وأن يجعل بيوتنا مستقرة تسودها الرحمة والأمان.